المحاضرة رقم 05

أدوات جمع البيانات والمعلومات

ثانيا: الملاحظة

محتوى المحاضرة	
الرقم	العنوان
-	تمهيد
01	مفهوم وتعريف الملاحظة في البحث العلمي.
02	اهمية الملاحظة في البحث العلمي
03	اهداف الملاحظة في البحث العلمي
04	استخدامات الملاحظة في البحث العلمي.
05	أنواع الملاحظة في البحث العلمي.
07	خطوات استخدام الملاحظة في البحث العلمي
08	مكونات قائمة الملاحظة في البحث العلمي
09	أهم المميزات والعيوب

تمهيد:

تعتبر الملاحظة وسيله هامه من وسائل جمع البيانات ونظرا لأهميتها فقد استخدمت في الماضي ولازالت تستخدم في الحاضر في مجال البحث والدراسة وقد لجأت إليها الشعوب المتحضرة لجمع المعلومات عن الأشياء والمواقف المحيطة بهم وللتعرف على ظواهر الحياة ومشكلاتها.

ولقد حظيت أداة الملاحظة بالاهتمام الكبير من قبل الباحثين والمختصين بالبحث العلمي وسنتطرق في هذا الجزء الميسر إلى بعض ما خطت به أناملهم، وأملته بنيات أفكارهم، وتناولته دراساتهم في المفهوم والأنواع وأهم المميزات والعيوب , بغية الفائدة فلا غنى للباحث من الوعي المتكامل بالملاحظة بجميع جوانبها .

1/- مفهوم الملاحظة في البحث العلمي :

في اللغة " المُلاحَظَةُ مُفاعلة من اللَّحْظ وهو النظر بشِقِّ العين الذي يلي الصدغ " هذا في جانب اللغة , وقد أشارت بعض معاجم اللغة إلى معاني منها ما يفيدنا في هذا المقام كالمراعاة . (ابن منظور، صفحة (7 / 458) .)

وأما في الاصطلاح فقد تعددت تعريفاتها في كتب مناهج البحث منهم من تناولها بالمفهوم العام , ومنهم من تناولها بالمفهوم الخاص أي الملاحظة العلمية .

يقول غرايبه : " الملاحظة العلمية هي الاعتبار المنتبه للظواهر والحوادث بقصد تفسيرها واكتشاف أسبابها و الوصول إلى القوانين التي تحكمها " (غرايبة و واخرون، 1977، صفحة 33)

ويتضح لنا من التعريف إشارته لعدة جوانب منها العلمية ويخرج منها غير العلمية , والقصد ويخرج منها الملاحظة غير المقصودة , والدوافع من هذه الملاحظة , و هذا التعريف لم يشمل جميع أنواع الملاحظة مع تميزه في الإشادة بالدوافع من الملاحظة أو الثمرة منها .

ويقول صيني : الملاحظة " مصدر أو وسيلة للحصول على المعرفة تلقائيا ما دام الإنسان مستيقظا ". (صيني، 1994، صفحة 16)

ويمتاز هذا التعريف بالشمولية ولكن إشكالية التعريف تكمن في الخلط بين المصدر والوسيلة ومن المعروف أن مفهوم المصدر لا يجتمع مع الوسيلة , ومما يشار إليه في هذا التعريف إطلاقه لجميع معالم المعلومات بقوله المعرفة مع اشتراط اليقظة وهذا حسن , ولكن لم يشتمل التعريف على أنواع من الملاحظات والتي تكون بواسطة الآخرين .

وممن عرف الملاحظة بدري بقوله : " انتباه مقصود ومنظم ومضبوط للظاهرة أو الحوادث أو الأمور , بغية اكتشاف أسبابها وقوانينها ". (بدري، 1421هـ ، صفحة 21)

و قوله انتباه يدخل فيه النظر والعقل أي نظر بالبصر وتمعن بالعقل والبصيرة , ويمتاز هذا التعريف عن غيره بالإشارة إلى الضوابط والقصد والتنظيم في الملاحظة ولعله يدخل في الجوانب التطبيقية وهي التي عليها مدار تقييم الملاحظة ودرجة صدقها والثقة بالمعلومات .

وأما عبيدات فيقول : " هي وسيلة يستخدمها الإنسان العادي في اكتسابه لخبراته ومعلوماته , حيث نجمع خبراتنا من خلال ما نشاهده أو نسمعه عنه ,ولكن الباحث حيث يلاحظ فإنه يتبع منهجا معينا يجعل من ملاحظته أساسا لمعرفة واعية أو فهم دقيق لظاهرة معينة " . (عبيدات و واخرون، 1998، صفحة 121)

ويجدر التأكيد على الملاحظة من خلال التعريف على أنها وسيلة , وقد فرق في تعريفه بين ملاحظة الباحث العلمي عن غيره , وفرق بين الخبرة والمعلومة مع كون الوسيلة مجدية في تحصيلهما , وهو تعريف جميل ولكن الطول والاستطراد في وسائل اكتساب المعرفة أو الخبرة من غير الملاحظة وهي وسيلة السمع , والذي أتصوره أن السمع لا يدخل في الملاحظة والله أعلم ولكنه معين عليها .

ولعلي أختم هذه التعريفات بقول الدكتور العساف حيث ربطها بقرينة البحث العلمي كونها أحد أدوات البحث التي تجمع بواسطتها المعلومات والتي تمكن الباحث من الإجابة عن أسئلة البحث واختبار الفروض ثم قال : " فهي تعني الانتباه المقصود والموجه نحو سلوك فردي أو جماعي معين بقصد متابعته ورصد تغيراته ليتمكن الباحث بذلك من وصف سلوك فقط أو وصفه وتحليله أو وصفه وتقويمه " . (العساف، 2010، صفحة 366)

وهذا التعريف حقيقة من أجمل التعاريف كونه قدم لها ببيان الأهمية في البحث ومرحلة الفرض والإجابة عن الأسئلة , مع خصوصية التعريف بالقصد والإجراءات كالرصد , والنتيجة منه كالوصف والتحليل والتقويم , وكم تمنيت لو عمم الدكتور هذا التعريف فلم يخصه على العلوم السلوكية فقط لأن الملاحظة أداة تدخل في البحوث العلمية الأخرى .

ويمكن تعريف الملاحظة كتعريف إجرائي : هي وسيلة أو أداة من وسائل وأدوات البحث العلمي والتي يستخدمها الباحث أوغيره بصورة مقصودة أو غير مقصودة لجمع البيانات والمعلومات من مصادرها تجاه أمر معين لدراسته وفق ضوابط وطرائق حسب ما تقتضيه الظروف وتفرضه الإمكانيات .

2/- أهمية الملاحظة:

الملاحظة من الطرق إلهامه والقديمة والتي تستخدم لجمع البيانات في العلوم الاجتماعية وهى تفيد في جمع سلوك الأفراد الفعلي وبعض المواقف الواقعية واتجاههم في مشاعرهم كذلك تفيد في الأحوال التي يقوم فيها الباحثون ويرفضون الإجابة على الأسئلة لذلك فهي تيسر الحصول على كثير من المعلومات والبيانات في المفاهيم المطلوبة والتي لها يمكن الحصول عليها بوسائل أخرى كسلوك الأطفال ومشاعرهم

واتجاهاتهم في سلوكهم أو عزوف المبحوثين عن التعاون مع الباحث أو مقاومتهم له وعدم رغبتهم في الإدلاء بأية معلومات (سيد فهمي، 2005، صفحة 15).

لا تعتبر الملاحظة هدفا بل هي الوسيلة التي يستعين بها الأخصائي الاجتماعي للوصول إلى أهداف أساسيه منها:-

1- التعرف على مؤشرات التغير في السلوك للأفراد واتجاهاتهم .

2- التعرف على مؤشرات التغير في حياه الجماعة ككل . (بيومي مرعي و محمد حسين، 2000)

1-3 الأهداف التعليمية للملاحظة كوسيلة لجمع البيانات:-

- فهم طبيعة التعدد في الملاحظة وفوائدها لمنهج البحث .
- الوقوف على نقاط القوه والضعف والملاحظة باعتبارها احد وسائل جمع البيانات .
- التعرف الاختلافات بين الملاحظة وباقي وسائل جمع البيانات .
- اكتساب القدرة على توظيف الملاحظة في مواقف عمليه بأشكال مختلفة تظهر في البحث الاجتماعي .

جعل الباحث يقف موقف النقد في تقيم طبيعة ومواصفات الدراسات التي تحتاج إلى الملاحظة كوسيلة . (2)

4/- استخدامات الملاحظة في البحث العلمي:

عادةً ما تُستخدم الملاحظة في البحث العلمي في الآتي:

- الظواهر التي لا يمكن دراساتها بالوسائل الأخرى.
- الحصول على معلومات أدق عن الظاهرة.
- تحليل سلوكيات معينة لا يمكن إدراكها بالاستبيانات أو المقابلات.
- التعرف على انطباعات وسلوك المستجيبين، فيما يتعلق بخدمة أو منتج معين.

5/- أنواع الملاحظة في البحوث العلمية:

لقد تباينت كتب مناهج البحث في عرضها لأنواع الملاحظة وقد تجد النوع الواحد له أكثر من مسمى في غير كتاب أو يتكرر بمسماه في غير مرجع ، وقد تجد تقسيمات لأنواع لا تستحق أن تكون أنواعا كالملاحظة

المعملية والبيئية فهذه أقسام لا تستحق أن تكون كذلك كونها تعبر عن أماكن وليست أساليب , لأن المقصود من الأنواع هو عرض الأساليب والطرائق التي يمكن أن تطبق بها هذه الأداة ولذلك سأستبعد التقسيمات التي اعتمدت في تصنيفها على أماكن التطبيق كالمختبر والبيئة والمدرسة والمجتمع والبيت وغيرها .

1/5- أنواع الملاحظة بالنسبة لدرجة الضبط :

أ – ملاحظة بسيطة (Simple Observation) :

وهي الملاحظة غير المضبوطة وتتضمن صورا مبسطة من المشاهدة والاستماع إلى الظواهر والأحداث كما تحدث تلقائيا في ظروف الطبيعة دون إخضاعها للضبط العلمي .

وهي مفيدة لجمع البيانات الأولية للظواهر تمهيدا لدراستها في المستقبل .

ب- ملاحظة منظمة (Systemation Observation) :

وتختلف عن البسيطة من حيث كونها تخضع لدرجة عالية من الضبط , وإتباعها مخططا مسبقا , ويحدد فيها الظروف , ويستعان فيها بالوسائل , وهدفها جمع البيانات الدقيقة عن الظاهرة ووضع الفروض . (غرايبة و واخرون، 1977، صفحة 34)

وقد أشير إلى هذين النوعين في كتب أخرى بالملاحظة المحددة (Structued) و الملاحظة غير المحددة مع اختلاف بسيط في العرض وهو تقسيم على حسب الهدف منه , وبعض الكتب تشير إلى كونها ملاحظة طبيعية وملاحظة مضبوطة حسب الظروف المحيطة بالظاهرة , وهذه الاختلافات في المصطلحات لا تؤثر على المضمون ومستساغة لأنها من خلاف التنوع اللفظي , فالملاحظة الطبيعية في حقيقتها بسيطة وغير محددة , والملاحظة المضبوطة علميا محددة ومنظمة . (عبدالله، 2006، الصفحات 73 - 74).

2/5- أنواع الملاحظة وفقا لدور الباحث :

أشار إلى هذا التقسيم معظم كتب مناهج البحث العلمي حيث قسمت إلى قسمين :

أ- ملاحظة غير مشاركة (Non – Participant) :

حيث يلعب فيها الباحث دور المتفرج أو المشاهد بالنسبة للظاهرة أو الحدث , ولا يتضمن سوى النظر والاستماع إلى موقف اجتماعي معين دون المشاركة الفعلية فيه . (غرايبة و واخرون، 1977، صفحة 34)

ويعرفها العساف بقوله:"وهي التي تتم من قبل الملاحظ دون أي علم من قبل الملاحظين (العساف، 2010، صفحة 369) ثم أشار إلى وسائل لتحقيقها مقتبسة من كتاب محمد زيدان , كأن يقوم الباحث بالاختباء خلف شاشة بصرية , وبعض الكتب تشير إلى المرآة ذات الاتجاه الواحد أو كمرات المراقبة المخفية , وبعضهم يشير إلى وقوف الباحث خلف ستارة مخفية لا يعلم بوجوده خلفها أي شخص ممن يريد دراسة حالتهم .

ب) الملاحظة المشاركة (Participant) :

" وهي التي يقوم فيها الباحث بدور العضو المشارك في حياة الجماعة " (غرايبة و واخرون، 1977، صفحة 35) .

فالباحث هنا يلعب دورين دور العضو المشارك والباحث الذي يجمع البيانات عن سلوك الجماعة وتصرفات أفرادها , ومما يجدر الإشارة إليه ما قام به بعض الباحثين من دخوله مستشفى الأمراض النفسية مدعيا المرض دون علم المرضى والأطباء من أجل تسجيل البيانات , ومن تطبيقاتها أن يدخل الباحث ضمن الجماعات والعصابات والقبائل , دون أن تعلم هويته .

ويقسمها العساف إلى نوعين جزئية وكلية وذلك من خلال وضوح شخصية الباحث وأهدافه لدى الملاحظين ولكل نوع منها عيوب ومميزات سيأتي الحديث عنها في القسم الخاص. (العساف، 2010، صفحة 368)

و بشكل عام يمكن القول بأنها تمتاز بصدق البيانات وغزارتها وتفتح للباحث أن يلاحظ الجوانب الخفية من السلوك , ولكنها صعبة التطبيق إذ تحتاج إلى مهارة فائقة , بالإضافة إلى ما يصاحبها من أخطار على حياة الباحث وكرامته كاتهامه بالجاسوس .

3/5- أنواع الملاحظة من حيث اتصال الباحث :

تنقسم إلى قسمين .

أ- **ملاحظة مباشرة (Direct) :**

حيث يقوم الباحث بملاحظة سلوك معين من خلال اتصاله مباشرة بالأشخاص أو الأشياء التي يدرسها . (عبيدات و واخرون، 1998، صفحة 135) . ويتضح في هذا النوع قوة اتصال الباحث بالسلوك الذي يود دراسته .

ب- **ملاحظة غير مباشرة (In-direct) :**

حيث يتصل الباحث بالسجلات والتقارير والمذكرات التي أعدها الآخرون .

ومن الملاحظ أن هذا النوع تتأثر مصداقية نتائجه ومخرجاته بمصداقية هذه التقارير والمذكرات والسجلات فهي تحتاج إلى نوع من التثبت بدرجة عالية , ليخرج بمعلومات تمتاز بالصدق والثبات .

3-5- أنواع الملاحظة من حيث القصد :

أ- ملاحظة مقصودة (Purposive) : حيث يقوم الباحث بالإتصال الهادف بموقف معين أو أشخاص معينين لتسجيل مواقف معينة .

ت- **ملاحظة غير مقصودة (Accidental) :**

حيث يلاحظ عن طريق الصدفة وجود سلوك وهذا النوع من التقسيم تناول الملاحظة من حيث قصد الباحث في ملاحظة السلوك وهو تقسيم قريب جدا من التقسيم الأول الذي تناول الملاحظة من حيث درجة الضبط(البسيط و المضبوط) مع الاختلاف في طريقة العرض .

وبعد هذا العرض لأنواع الملاحظة من مراجعها المتخصصة يتضح لنا أن الباحث يستطيع تطبيق نوعين أو أكثر من أنواع الملاحظة التي تم ذكرها في السابق في بحث واحد , وذلك أن للملاحظة درجة في الضبط و اتصالا بالحدث وقصدا من ورائها وطريقة في المشاركة تجمع الأنواع في ملاحظة واحدة , يستخدمها الباحث في جمع البيانات والله أعلم .

6/- خطوات استخدام الملاحظة في البحث العلمي:

هناك عدد من الخطوات التي ينبغي على الباحث اتباعها عند استخدام أداة الملاحظة في جمع المعلومات والبيانات اللازمة للدراسة، كما تُعَد هذه الخطوات عامل أساسي في نجاح عملية الملاحظة بشكل كبير، ومن أهمها:

- ✓ تحديد الهدف: وهو بأن يكون هناك هدف محدَّد يسعىَ الباحث في الوصول إليه.
- ✓ تحديد السلوك: أن يحدد الباحث العلمي السلوك المُرادَ ملاحظتُه.
- ✓ تحديد العينة: وهو بأن يقوم الباحث العلمي بتحديد الأشخاص الذين سوف المعنيين بالملاحظة (أفراد عينة الدراسة والبحث).
- ✓ تحديد الوقت: أن يقوم الباحث العلمي بتحديد الفترة الزمنية اللازمة لإجراء الملاحظة.
- ✓ تحديد المكان: وهو بأن يقوم الباحث العلمي بتحديد المكان والبيئة اللازمة لإجراء الملاحظة.
- ✓ تحديد الأدوات: وهو بأن يقوم الباحث العلمي بتحديد الأدوات التي سوف تساعده في الملاحظة مثل الورقة والقلم، أو المسجل أو كاميرا الفيديو.
- ✓ مراعاة الآخرين: وهو بأن يراعي الباحث العلمي عدم إيذاء العينة، أو استياءهم، ومراعاة خصوصياته، وأيضاً اختيار الوقت والمكان الذي يتناسب معهم وغير مُعارض مع مصالحهم الشخصية.
- ✓ الحصول على معلومات مسبقة: بأن يكون الباحث العلمي لديه معلومات مسبقة وكافية عن الظاهرة موضع الدراسة.
- ✓ التسجيل الدقيق: بأن يقوم الباحث العلمي بتسجيل وجمع البيانات بشكل دقيق ومنظم، وحصر نطاق الملاحظات في ضوء الظاهرة المدروسة.
- ✓ بعد الانتهاء من الملاحظة: يجب على الباحث أن ينسحب من الموقع شاكراً للمشاركين في الملاحظة.
- ✓ عدم التسرع في النتائج: التأني وعدم الحكم المسبق على الملاحظات.
- ✓ إتقان الأدوات: المعرفة والإتقان التام بالأدوات المستخدمة في الملاحظة.

7/- مكونات قائمة الملاحظة في البحث العلمي:

تشمل قائمة الملاحظة بعض الأسئلة على النحو الآتي:

1-هل حصلت على إذن مسبق لدراسة الموقع؟

2- هل تعرف دورك كملاحظ؟

3- هل تعرف ما تريد ملاحظته أولا؟

4- هل دخلت موقع الدراسة دون أن تحدث إزعاجا فيه؟
5- هل طورت علاقات دافئة مع الأشخاص في الموقع؟
6- هل ضيقت إطار دراستك لتشمل الظاهرة المراد دراستها؟
7- هل سجلت ملاحظات محدودة في البداية؟
8- هل وصفك اشتمل على جمل كاملة تعطيك وصفا دقيقا؟

8/- أهم المميزات والعيوب :

إن الباحث المستخدم لطريقة الملاحظة بشكل علمي موضوعي للتمييز بين الأحداث والربط بينها , مع الدقة في تدوين الملاحظات ستظهر له مميزات وعيوب نشير إلى أهمها .

1/8- مميزات الملاحظة :

وهي سمات وخصائص الملاحظة والتي من شأنها حث الباحث لاستخدام هذه الطريقة والأداة في جمع البيانات حول الحالة أو الظاهرة التي يريد دراستها , ومن أهمها ما يلي :

أ- " درجة الثقة في المعلومات التي يحصل عليها الباحث بواسطة الملاحظة أكبر منها في بقية أداوت البحث " , ويمكن ربط درجة الثقة بعوامل من أهمها أن " يستخدم الباحث أداوت ملاحظة تتمتع بدرجة عالية من الصدق , ويستعين بالتقنيات التربوية لتسجيل الظاهرة التي يعنى بدراستها, بالإضافة لكون هذه المعلومات التي جمعت تستنتج من سلوك طبيعي غير متكلف , هذه العوامل الثلاثة أكسبت أداة الملاحظة ميزة ارتفاع درجة الثقة.

ب- أفضل طريقة لدراسة عدة أنواع من الظواهر في وقت واحد , فهي تمكن الباحث من جمع بيانات تحت ظروف سلوكية مألوفة , وجمع حقائق عن السلوك في وقت حصولها .

ج- تضمن للباحث الحصول على المعلومات التي تمكنه من الإجابة عن أسئلة البحث , لأنها تعتمد عليه (الملاحظ) , باختلاف بقية الأدوات الأخرى التي تعتمد مدى استجابة العينة للباحث سواء في الإستبانة أو المقابلة .

د- تسمح بجمع بيانات ومعلومات قد لا يفكر بها الأفراد حين إجراء المقابلة أو المراسلة وبأنماط مختلفة ،وتسجيل كل ما يمكن أن يصف الواقع , مما يعطي الباحث فرصة الحصول على كمية كبيرة من المعلومات مقارنة مع بقية الأدوات الأخرى .

هـ- تتطلب عدد أقل من المفحوصين مقارنة بالأدوات الأخرى .

2/8- **عيوب الملاحظة :**

وهي السمات التي من شأنها التأثير على البحث أو الباحث , مما يحث بعض الباحثين للعزوف عن هذه الأداة هروبا مما قد يواجهونه باستخدامها والتي تكمن في نقاط من أهمها :

أ- قد يتعمد الأفراد إعطاء انطباع جيد أو غير جيد , عندما يدركون أن هناك من يقوم بمراقبة سلوكهم، ويمكن معالجة هذا العيب والتقليل من أثره بعدة طرق منها " استخدام غرف خاصة للملاحظين ، " أو " بمحاولة تكرار الملاحظة ولكن من وجهة نظرة الباحث فإن استخدام غرف خاصة يخضع للضوابط الشرعية , ولا بد فيه من استئذان العينة بعد الملاحظة , لأنه حق من حقوقهم .

ب- من الصعب توقع حدوث حادثة عفوية ليكون الباحث حاضرا وقت وقوعها , وعادة ففترة الانتظار مرهقة وتستغرق وقتا طويلا ، وتتضح هذه الإشكالية عندما تكون أعداد عينة الدراسة أعدادا كبيرة , أو بعض الأحداث تحصل في عدة أماكن وقد تستغرق عدة سنوات فتكون محدود زمنيا وجغرافيا ، فإنه يصعب تطبيقها إن لم تكن مستحيلة .

جـ- أنها تتأثر بالعوامل الخارجية غير المنظورة والتي قد تكون طارئة (كتقلبات الطقس)، مما يعيق عملية القيام بالملاحظة أو يجعل الأشخاص الملاحظين ينهجون نهجا غير سلوكهم الطبيعي ولكنه غير مقصود أو مصطنع كما في العيب الأول , والذي له أثره السلبي على قيمة المعلومات علميا .

د- هناك جوانب لا يمكن ملاحظتها سواء كانت أحداث (كالحياة الخاصة للأفراد) أو سلوكية (كالدوافع والعقائد والانطباعات النفسية) والتي يمكن الحصول على معلوماتها بالإستبانة أو المقابلة .

هـ- تأثر الملاحظة بدرجة كبيرة بالملاحظ نفسه , سواء في الجانب العلمي لديه (كالمعلومات والمسلمات السابقة لديه) أو في الجانب الشخصي (كالقدرات العقلية أو ضعف الحواس) أو في الجانب المهاري (كإتقانه لمهارات الملاحظة وأدوات التسجيل) أو الجانب النفسي (كالانفعالات السلوكية وضبط النفس والصبر) , مما يجبر الملاحظ على مراعاة هذه الجوانب كلها ومحاولة تقليل آثارها السلبية عن طريق الدقة في التسجيل , والتدريب على الأدوات وأجهزة القياس .